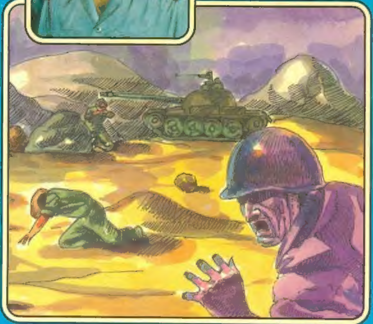
حكايات من قادسية صدام حكايات من قادسية صدام حكايات من قادسية صدام حكايات من قادسية صدام حكايات من قادسية صدام حكايات من قادسية صدام حكايات

٧





الدبّابة رقم ١

دار ثقافة الاطفال

مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل مكتبة الطفل

قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة

الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دار ثقافة الاطفال – مكتبة الطفل

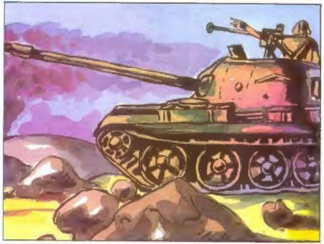
الناشر : دار ثقافة الاطفال – ص. ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ١٠٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ١٥٠ فلساً عراقياً او ما يعادلها



مكتبة الطفل
دار ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

الدبّابَة رقم ١



ادب الحرب المصور للاطفال

حكايات من الحرب العراقية الايرانية
(١٩٨٠ - ١٩٨٨) م

تأليف : مَعْد فيّاض
رسوم : عبد الرضا فليح
الاخراج الفني : شريف الراس
مسح ضوئي : د.نزار حبيب عباس
اعداد الكتروني : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

قادسية صدام
٧
رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(١٦٠٠) لسنة ١٩٨١

تنويه /

تم اعداد هذا الكتاب عن نسخة ارشيفية شخصية للاخ والاستاذ العزيز (د.نزار حبيب عباس) ... تفضل مشكورا بارسالها الينا لنشرها وعشرات الاصدارات النادرة لدار ثقافة الاطفال العراقية .. لغرض التوثيق والنشر الالكتروني في الانترنيت ... ((الفيسبوك وموقع عرب كوميكس الالكتروني)) فكل الشكر والتقدير له ولامثاله الرائعين ولكل من دعمنا وشجعنا لاكمال وارشفة المطبوعات والكتب النادرة .... متمنيا له الموفقية وديمومة العطاء والنجاح .... مع خالص التقدير ..

احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

١



محفوظ إذاعة

الجميعُ يعرفونَهُ بـ (مَحفوظ إذاعة) ـ الضبَّاطُ وَالمراتِبُ يُسَمُّونَهُ هكَذا ـ ذَلِكَ أنَّ المُلازِمَ (محفوظ) كانَ غالباً ما يُخْرِجُ رَأْسَهُ مِن فتحةِ الدَّبَّابَةِ العُليا مُمسِكاً بِيدِهِ مُكَبِّرَ الصَّوتِ ، وَيَبْدأُ بِندائِهِ المُعْتادِ والّذي يُعتَبَرُ بِمَثابَةِ الإنذارِ المُبكِّرِ لِجَماعَتِهِ .

لمْ يكُنِ المُلازِمُ (محفوظ) يُذِيعُ نَشْرَةَ أخبارٍ لِجَماعَتِهِ وَلاَ يَمْزَحُ مَعَهُمْ ، بَلْ كانَ يُنَبِّهُ الجميعَ إلى وُجودِ طائراتٍ مُعاديَةٍ في الجَوّ .

كانَ يُنادِي هكذا : طائراتٌ مُعاديَةٌ ، الأسلِحَةُ حُرَّةٌ ، طائراتٌ مُعادِيةٌ ، الأسْلِحَةُ حُرَّةٌ .

وَسُرْعانَ ما تَبدأُ المُقاوِماتُ الأرْضِيَّةُ لِلطّائِراتِ بِتَحْويلِ الفَضاءِ إلى كُتْلَةٍ مِنْ لَهَبٍ ، فَيكونُ مَصيرُ الطّائراتِ حُطاماً تَتَناثَرُ في الجَوِّ أحياناً ، وَأحْياناً تَفِرُّ هارِبَةً قَبْلَ أنْ تضربَ هَدَفَها .



ولمْ تكنْ مُهمّةُ (محفوظ) التّنبيه عَنِ الطّائراتِ المُعاديَةِ .. بَلْ عَنْ طائراتِنا أيضاً ، ولكنْ بطريقةٍ تختلفُ عن ندائِهِ السّابقِ .. نداؤهُ الآخرُ هكَذا : « طائراتٌ صديقةٌ ، الأسلحةُ مُقيّدةٌ » .. حيثُ يجبُ أنْ تبقى الأسلحةُ مُقيّدةً حتى تذهبَ طائراتُنا لتؤدّي مُهمّتَها وتعودَ بسلام .

إلاّ أنَّ المُلازِمَ (محفوظ) دَخَلَ ذاتَ يومٍ دبّابَتَهُ أثناءَ التّقدُّمِ نحوَ السّنِّ الصّخريِّ وغابَ صوتُهُ عَنِ الجَميعِ ، غابَتْ إذاعَتُهُ الصّغيرةُ . وَغابَتْ إنذاراتُهُ المُبكّرة .

المقاتِلُ (صباح) آمِرُ قوّةِ دروعٍ قالَ لنا :

كانَ ذلكَ يومَ ١٩٨٠/١١/١٩ حيثُ كانَ المُلازِمُ (محفوظ) وَرِفاقُهُ يتقدّمونَ لإحكامِ السّيطرةِ على السّنِّ الصّخريِّ ، أخرجَ (محفوظ) رأسَهُ مِنَ الدّبّابةِ ، ونظرَ حولَهُ يتفقّدُ رِفاقَهُ المُقاتِلينَ ثُمَّ ضغطَ على زرِّ مُكبّرِ الصّوتِ البدويِّ وقال :

ـ وداعاً ، سنلتقي فوقَ السّنِّ الصّخريِّ .

ثُمَّ دَخلَ دبّابتَهُ ، وَمضى يتقدّمُ مع رِفاقِهِ المُقاتِلينَ باتّجاهِ السّنِّ الصّخريِّ .



٢
التل الصخري

أنتم لا تعرفون التل الصخري طبعاً !!

أنا أيضاً لم أكن أعرف عنه شيئاً ، فأنا لم أقرأ عنه شيئاً في كتب الجغرافية والتاريخ .

بل حتى لم أشاهده على أية خارطة . أما الخرائط العسكرية ، فهي الوحيدة التي تثبت موقع هذا التل بدقة .

حيث يظهر فيها مجرد نتوء بسيط ، لكن له أهمية عسكرية كبيرة ..

يبعد التل الصخري عن مدينة مندلي العراقية حوالى (١٩) كيلومتراً ، وعن مدينة سومار الإيرانية والتي تسيطر عليها القوات العراقية منذ الأيام الأولى للحرب حوالى (١٥) كيلومتراً .

إن أرض سومار ، أرض غريبة عجيبة ، غرابتها تكمن في ذلك التداخل المدهش .. حيث تمتد الأرض سهلة بسيطة تنمو فوقها عشرات الأنواع من الأزهار

البرية والأعشاب الناعمة . كما تتوزع فوقها بساتين النخيل وحقول القمح ، وتشقها السواقي التي تتغذى من مياه نهر (كنكير) الذي يقطع سومار بمياهه الشفافة التي تجري فوق الصخور البيضاء مثل ثوب من حرير .

تحد تلك الأرض من جهات متفرقة تلال صخرية مقفرة لا حياة فيها . تلال صعبة وموحشة تتلون بألوان الصخور التي تتكون منها ..

فهناك التل الأبيض ذو الصخور البيضاء ، والتل الأحمر ذو الصخور الحمراء ، وتلال أخرى بلون الطين أو التراب .

ولقد تركت القنابل والقذائف التي تسقط هنا وهناك نتيجة القصف المدفعي المتبادل أثرها في تلك التلال .. فهناك دائماً بقع سوداء وبقايا شظايا تنتشر على سفوح أغلب تلال سومار ..

ليست الألوان وحدها التي تميز التلال ، بل أشكال تلك التلال أيضاً تعتبر علامات مميزة لأي تل .. فالريح والأمطار نحتت أشكالاً جميلة من قمم التلال العالية .

فمثلاً هناك رأس ذئب منحوت من صخور أحد التلال . وهناك منقار بارز يشبه منقار نسر كبير ، وهناك تلال أخرى لا أشكال لها سوى أشكال هندسية عامة ، مثل التل المخروطي والتل الهرمي الذي يشبه الهرم .

كل تلك التلال والصخور والألوان والتعرجات والتضاريس الصعبة خلقت من أرض سومار منطقة صعبة عسكرياً ، حيث تساعد هذه الطبيعة أي جيش على الاختفاء بين الطيات الأرضية . كما أنها من الممكن أن تكون عائقاً أمام تقدمه .

لكن المقاتل العراقي استطاع أن يروض هذه التضاريس ويطوعها بحيث تخدم تقدمه ، حيث شقت الهندسة العسكرية العراقية طرقاً لربط المواقع المتقدمة في عمق الأراضي الإيرانية ، بمعسكرات التموين والقيادة الخلفية .

تَرْتَبِطُ شَبَكَةُ الطُّرُقِ هٰذِهِ بِالطَّرِيقِ الرَّئِيسِيِّ لِمَدِينَةِ سُومَار ، وَالَّذِي يَمْتَدُّ إِلى عُمْقِ الأَراضِي الإِيرانِيَّةِ . حَيْثُ يَمُرُّ فَوْقَ جِسْرِ (كُونكرِيتِيٍّ) ، وَهُناكَ يَتَّصِلُ بِمَفْرِقِ الطُّرُقِ الَّتِي يَتَفَرَّعُ أَحَدُها إِلى مُحافَظَةِ (عيلام) ، والآخَرُ إِلى (كيلان غرب) الإِيرانِيَّتَيْنِ .

عِنْدَ نِهايَةِ الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيِّ وَقَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِالجِسْرِ الكُونكرِيتِيِّ تَقَعُ مَحَطَّةُ تَصْفِيَةِ المِياهِ . وَعَلى جانِبَيْهِ يَقُومُ اثْنانِ مِنَ التِّلالِ الصَّخْرِيَّةِ العالِيَةِ ، الَّتِي تُحْكِمُ السَّيْطَرَةَ عَلى الطَّرِيقِ العامِّ والجِسْرِ وَالقُرى المُتَناثِرَةِ وحَتّى عَلى مُفْتَرَقِ الطُّرُقِ وَمَدِينَةِ سُومار .

هٰذانِ التَّلّانِ اللَّذانِ يَقِفانِ على يَمِينِ الطَّرِيقِ العامِ ويَسارِهِ يُسَمُّونَهُما عَسْكَرِيّاً بِالأَكْتافِ الَّتِي تُمْسِكُ سُومارَ ، وَيُمْكِنُ استِخْدامُهُما لأَغْراضِ الدِّفاعِ وَالتَّقَدُّمِ في آنٍ واحد .

الكَتِفُ الأَيْسَرُ ، تَلٌّ مُتَّسِعٌ وَبَسِيطٌ يُحْكِمُ الجَيْشُ العِراقِيُّ السَّيْطَرَةَ عَلَيْهِ . أَمّا التَّلُّ الأَيْمَنُ فَهُوَ مُرْتَفِعٌ وَعِرٌ جِدّاً ، ذُو حافاتٍ حادَّةٍ وَسُفُوحٍ صَعْبَةِ الصُّعُودِ ، يَبْرُزُ فِيهِ نُتُوءٌ صَخْرِيٌّ نَحْوَ الأَرْضِ الحَرامِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ القُوّاتِ العِراقِيَّةِ والإِيرانِيَّةِ ، يَبْلُغُ طُولُ ذٰلِكَ النُّتُوءِ (٣٠٠) مَتْر ، وَعَرْضُهُ (٣) أَمْتار .

هٰذا النُّتُوءُ هُوَ الَّذِي يَبْرُزُ في الخارِطَةِ بَسِيطاً وَصَغِيراً ، والَّذِي نُسَمِّيهِ (السِّنَّ الصَّخْرِيَّ) ..

وَلأَهَمِّيَّتِهِ الكَبِيرَةِ زَحَفَتْ دَبّابَةُ (مَحفوظ) وَدَبّاباتٌ عِراقِيَّةٌ أُخرى لِلسَّيْطَرَةِ عَلى هٰذا الكَتِفِ ..

* * *

٣

جَحيم القَنابل



السِّنُّ الصَّخْرِيُّ مِثْلُ بُرْكانٍ يَنْفَجِرُ .

القَنابِلُ الإِيرانِيَّةُ تَسقط عليهِ واحِدَةً تِلْوَ الأُخرى .. بَلْ أَخَذُوا يَضْرِبُونَهُ بِعَشَراتِ القَنابِلِ والقَذائِفِ وَالصَّوارِيخِ .

الدُّخانُ يَرْتَفِعُ مِنَ السِّنِّ الصَّخْرِيِّ .. تَعْلُو خُيُوطُ الدُّخانِ السَّوداءُ مُعْلِنَةً عَنْ بَدْءِ مَلْحَمَةٍ جَدِيدَةٍ .

نَظَرَ المُقاتِلُ (حافِظُ) آمِرُ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ في سُومار مِن خِلالِ مِنْظارِهِ العَسْكَرِيِّ إِلى السِّنِّ الصَّخْرِيِّ . كانَ يُمَيِّزُ أَنْواعَ القَنابِلِ الَّتِي كانَتْ تَنْزِلُ فَوقَ السِّنِّ الصَّخْرِيِّ وَمَصْدَرَها ، رَغمَ بُعدِ المَسافَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بينَ سُومارَ وَالسِّنِّ .

التَفَتَ المُقاتِلُ حافِظُ إِلى مُساعِدِهِ المُقاتِلِ (خالِد) قائلاً :

ـ إِنَّهُمْ يُمَهِّدُونَ لِتَقَدُّمٍ جَديد .

أجابَهُ خالِد بَيْنَما كانَ هُوَ الآخَرُ يَتطَلَّعُ عَبْرَ النَّاظُورِ العَسْكَرِيِّ إلى كَثافَةِ القَصْفِ في السَّنِّ الصَّخْرِيِّ :

ـ مِثْلَما تَوَقَّعنا .. هٰذا قَصْفٌ تَمْهِيدِيٌّ سَوْفَ يَتْبَعُهُ تَقَدُّمُ آلِيَّاتٍ وَمُشاةٍ .

ـ هُناكَ ثَلاثُ دَبَّاباتٍ قَرِيبَةٍ مِنَ السَّنِّ بِإمْرَةِ المُقاتِلِ (رَعد زَيتي) . سَوْفَ تُشاغِلُهُمْ .

ـ لا تَنْسَ يا سَيِّدِي أَنَّ مِدْفَعِيَّتنا تَقْصِفُ مَواضِعَهُمْ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ .

نَظَرَ حافِظٌ إلى الخارِطَةِ العَسْكَرِيَّةِ وَراحَ يَتَتَبَّعُ بِبَصَرِهِ كُلَّ الخُطُوطِ الَّتِي تَرْبِطُ سُومارَ بِالسَّنِّ الصَّخْرِيِّ . ثُمَّ قالَ :

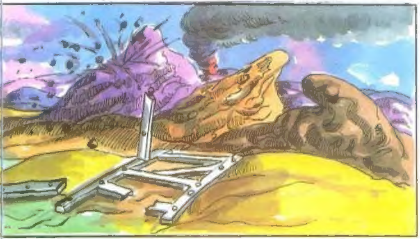
ـ إنَّ كُلَّ الطُّرُقِ مَقْطُوعَةٌ عَلَيْهِمْ .

ـ رُبَّما يَهْدِفُونَ إلى البَقاءِ عَلى السَّنِّ الصَّخْرِيِّ فَقَطْ .

ـ أنا أَهْدُفُ إلى ذٰلِكَ أَيْضاً .

ـ تَهْدُفُ إلى بَقائِهِمْ فَوْقَ السَّنِّ ؟!

ـ بَلْ إلى جَرِّهِمْ فَوْقَ السَّنِّ ، فَهٰذِهِ مِنْطَقَةٌ مَكْشُوفَةٌ وَرَصَدُ المِدْفَعِيَّةِ يَعرِفُ



إحْداثِيّاتِ السَّنِّ الصَّخْرِيِّ بِالضَّبْطِ وَنَحْنُ نَعْرِفُها جَيِّداً . لِهٰذا سَيَكُونُونَ هَدَفاً سَهْلاً بِالنِّسْبَةِ لَنا .

ـ تَعْنِي سَيِّدِي جَرَّهُمْ إلى مِنْطَقَةِ قَتْلٍ مُلائِمَةٍ ؟

ـ هٰذا بِالضَّبْطِ . ـ تَعالَ لِتَرى كَيْفَ نُحَرِّكُ آلِيَّاتِنا فَوْقَ الخَرِيطَةِ ..

قالَ حافِظ :

ـ هٰذا الطَّرِيقُ لا يُمْكِنُ رَصْدُهُ . لأَنَّ هٰذا التَّلَّ الأَخْضَرَ يُظَلِّلُهُ تَماماً ، فالرَّاصِدُ الإيرانِيُّ فَوْقَ تِلْكَ القِمَّةِ ..

وَأَشارَ إلى قِمَّةٍ تَقَعُ وَراءَ التِّلالِ القَرِيبَةِ مِنَ السَّنِّ . ثُمَّ أَخَذَ يَشْرَحُ الخِطَّةَ كامِلَةً :

ـ سَوْفَ تَكُونُ مُفاجَأَةً لَهُمْ إذا أَخَذْنا هٰذا الطَّرِيقَ غَيْرَ المَرْسُومِ بِخَرائِطِهِمْ .

أَجابَهُ خالِد :

ـ سَيِّدِي ـ تَعْنِي ـ هٰذا الطَّرِيقَ الَّذِي شَقَّتْهُ الهَنْدَسَةُ العَسْكَرِيَّةُ ؟

ـ هٰذا ما أَعْنِيهِ .. أُدعُ المُقاتِلَ (صَباح) آمِرَ قُوَّةِ الدُّرُوعِ وَضابِطَ الاسْتِخْباراتِ



وضابطُ الرُّكْنِ إلى غُرفةِ الحركاتِ ليتمَّ وضعُ الخطةِ حيِّزَ التنفيذ .

خرجَ المُقاتِلُ (خالد) لتنفيذِ أوامرِ السيِّدِ الآمرِ ..

راحَ (حافظُ) يجُولُ ببصرِهِ نحوَ أرضِ سُومار ..

تذكَّرَ التقدُّمَ الصعْبَ الّذي كلَّفَ الجيْشَ العراقيَّ الشُّهداءَ والمُعدَّاتِ ..

كانَ القصْفُ المِدْفعيُّ الإيرانيُّ شديداً . فقنابلُ الإنْفلاقِ الجويِّ كانتْ تنْفلقُ في الفضاءِ وتنْزِلُ مِثلَ زخّاتِ مطرٍ قويَّةٍ تحْرُثُ الأرْضَ حرْثاً .. أنْواعٌ عديدةٌ مِن القنابلِ نزلتْ مِثلَ جحيمٍ بينما كانَ الجيشُ العراقيُّ يتقدَّم .. لكنَّ كُلَّ تلكَ القنابلِ والقذائفِ والطّائراتِ الإيرانيَّةِ لمْ تمْنعْ مِنْ أنْ يحتلَّ العراقيُّونَ سُومار .

وماذا وجدُوا في سُومار ؟

بُيوتاً وأسْواقاً هدَّمَها الجيْشُ الإيْرانيُّ ونَهبَ ما فِيها بعْدَ أنْ هجَّروا سُكّانَها الأكْرادَ بالقُوَّةِ مِنْ أجْلِ نصْبِ مدافِعِهِمْ بعيدةِ المَدى ..

فقدْ حمَلَ الفُرسُ كُلَّ كُرهِهِمْ للعرَبِ والأكْرادِ وجاءُوا إلى سُومارَ لِقصْفِ المدارِسِ والأسْواقِ والمُستشفى والبُيوتِ العراقيَّةِ الآمِنةِ في مَنْدلي ..

لِذلكَ كانَ يجِبُ على الجيْشِ العراقيِّ إبعادُ المِدْفعيَّةِ الإيرانيَّةِ إلى العُمْقِ حتّى لا تكُونَ المُدُنُ العراقيَّةُ ضِمنَ مدى رمْيِ المِدْفعيَّة . وهذا لنْ يتِمَّ إلاّ باحْتلالِ سُومار ..

وها هيَ سُومار تحتَ سيْطرةِ الجيْشِ العراقيِّ .

قنابِلُ المِدْفعيَّةِ الإيرانيَّةِ تسْقُطُ في التِّلالِ والأوْديَـةِ القريبةِ لِتحرِقَ البساتينَ والوُرُودَ والقُرى الإيرانيَّةَ المهْجُورَة ..

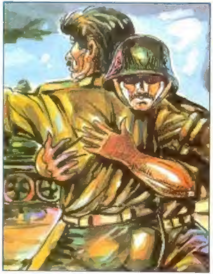
هلْ يسْمَحُ لهُمْ حافظُ بالتقدُّمِ مرَّةً أُخْرى ؟

هلْ هذا مُمْكِنٌ بعْدَ أنِ اطْمأنَّ العراقيُّونَ في مَنْدلي ؟

* * *

٤

الفَجر يقترب



قالَ حافظُ وهُوَ ينْظُرُ إلى السِّنِّ الصّخْريِّ بيْنما ترْتفِعُ مِنْهُ خُيوطُ الدُّخانِ الكثيفِ :

ـ لا .. لنْ يتقدَّموا خُطْوةً واحِدَة .. بلْ سأُجْبِرُهُمْ على التَّراجُعِ وسأجْعلُهمْ يندمُونَ على هذا التقدُّمِ الغبيِّ ..

قطعَ صوْتُ المُقاتِلِ (خالد) سِلْسِلةَ أفْكارِ حافظ ، حينما قالَ لهُ بحزْم :

ـ كُلُّ شيءٍ جاهِزٌ سيِّدي ..

بدأ الفجْرُ يقْترِبُ ، وللفجْرِ دائماً موْعِدٌ معَ البُطُولة . كانتِ العصافيرُ ما تزالُ نائمةً ، والهُدُوءُ يُمزِّقُهُ خريرُ جريانِ نهرِ (كنكير) وأصْواتُ القصْفِ المِدْفعيِّ وهديرُ دبّاباتٍ كانتْ تتحرَّكُ باتّجاهِ السِّنِّ الصّخْريِّ ..

فقدْ صدرتِ الأوامِرُ للمُقاتِلِ (عبد السّتار) بقيادةِ ثلاثِ دبّاباتٍ للصُّعودِ إلى السِّنِّ الصّخْريِّ لمُساعدةِ المُقاتِلِ (رعد زينل) ولِتعْزيزِ الموْقِفِ العسْكريِّ هُناك ..

تحرّكتِ الدّبّاباتُ الثّلاثُ عِندَ السّاعةِ الرّابعةِ فجراً ، حيثُ تمّ اختيارُ هذا الوقتِ قبلَ الضّياءِ الأوّلِ حتّى يكونَ مِنَ الصّعْبِ على العدُوِّ رصْدُ الدّبّاباتِ ..

كانَ المُقاتِلُ (عبدُ السّتّارِ) شديدَ الحذَرِ مِنْ أجلِ الوُصُولِ بِسلامٍ إلى السّنِّ الصّخرِيّ .. وأوّلُ ما تحرّكتِ الدّبّاباتُ قالَ لرئيسِ العُرَفاءِ (خضيّر) الّذي كانَ يقومُ بِمُهِمّةِ سياقةِ الدّبّابةِ :

ـ نُريدُ الوُصُولَ بِلا خسائِرَ .

أجابه المقاتلُ خضيّر : أمْرُكَ سيّدي . سنَصِلُ بلا خسائرَ إنْ شاءَ اللهُ .

راحَتِ الدّبّاباتُ تنْهبُ الأرْضَ .. وكُلّما قطعَتْ مسافةً مِنَ الطّريقِ ، كانَ المُقاتِلُ (عبدُ السّتّارِ) يترجّلُ مِنْ دبّابَتِهِ ليتأكّدَ مِنْ صِحّةِ الطّريقِ ومِنْ علاماتِ الدّلالةِ الّتي توصِلُهُمْ إلى السّنِّ الصّخرِيّ ..

كانَ عليهِمْ أنْ يحذَرُوا قذائفَ التّنويرِ الّتي تُطلِقُها المِدْفعيّةُ الإيرانيّةُ لِكشْفِ المنطقةِ خوْفاً مِنْ أيِّ تقدُّمٍ عِراقيٍّ .

عِندما اقتربَتِ الدّبّاباتُ الثّلاثُ مِنْ سفْحِ التّلِّ المُؤدّي إلى السّنِّ الصّخرِيّ . نزَلَ عبدُ السّتّارِ مِنْ دبّابَتِه رغْمَ كثافةِ القصْفِ المِدْفعيّ لِيُعَيّنَ بالضّبْطِ الطّريقَ



المُؤدّيَ إلى أعْلى التَّلِّ خَوفاً مِنَ الوُقوعِ في الوادِي القَريبِ .. قالَ عَبدُ السَّتّارِ مُؤكِّداً مرّةً أخرى

ـ صَعِدْنا لكِنْ كُنْ حَذِراً . فقد اقتربْنا مِنْ أرضِ المَعْرَكَةِ . الرّاصِدُ رُبّما يَكونُ قريب

أجاب خضير

ـ لكنَّ مَرْصَدَ العدوِّ ما يزالُ بعيداً مِنْ هُنا سيّدي

ومع هذا يجبُ أنْ تكونَ حذِراً .. اصعدْ أنتَ وسأبقى كيما أتأكَّدَ مِنْ صُعودِ المدرّعتين الباقيتين .. انتظرني عندَ أعلى التلِّ ، حيثُ سأكونُ معَ الدبّابةِ الأخيرة

وقبْلَ أنْ ينتهي عبدُ الستّارِ مِنْ جُملتِهِ هوَتْ قُرْبَهُ قُنبلةُ مِدفعِ هاوِنٍ (١٢٠) ملم .. تناثرتْ شظاياها في كُلِّ الجهاتِ ، دوّى صوتُ الانفجار .. لكنَّ عبدَ الستّارِ لمْ يهتمّ لِوقوعِ هذهِ القنبلة .. بلْ أرادَ أنْ يتحرّكَ إلى الدبّابة .

ـ ماذا حدَثَ ؟

سألَ عبدُ الستّارِ نفسَهُ ، فقدْ كانتْ ساقاهُ ثقيلتَينِ ، والحركةُ صارتْ مُستحيلةً بالنسبةِ لهُ . أحسَّ بحرارةٍ غريبةٍ تسري عبرَ ساقِه .

نظرَ خضيرٌ خلفَهُ إلى عبدِ الستّار .. ونادى

ـ «سيّدي .. الدّمُ .. أنتَ جريحٌ .. احذرْ» لكنّ عبدَ الستّارِ لمْ يكنْ يُصدّقُ أمرَ جُرحِهِ حتّى رأى الدمَ ينزفُ منْ ساقِهِ .. كانتْ ثمّةَ شظيّةٌ قدِ اخترقتْ ساقَهُ وحالتْ دونَ حركتِه ..

سارعَ خضير إلى إخلاءِ عبدِ الستّارِ منْ أرضِ المعركة

تألّمَ عبدُ الستّارِ كثيراً ، لأنّ تلكَ الشظيّةَ اللئيمة حالتْ دونَ وصولِهِ إلى السنّ الصخريّ

صعدَ المقدّمُ (عصام) ليأخذَ مكانَ القيادةِ بدلاً منْ عبدِ الستّارِ حسبَ أوامرِ القيادة ..

واصلَتِ الدبّاباتُ سيرَها بالصّعودِ نحوَ السنِّ الصخريّ ..



٥

الهجوم الكاسح

حينما أشرقتِ الشمسُ وهي تُرسلُ أشعّتها الذهبيّة الحميمة مثل تخطيطها الرائعة نحو الأرض .. صارت الأرضُ مثل الذهب .. لوّنتْ أشعّتُها وجوهَ المقاتلين الرابضين خلف الأسلحة

كانت الدبّابات قدْ وصلتْ واحتلّتْ مواقعها المخصّصة لها استعداداً لنصرٍ جديد

الموقفُ يزدادُ تحرّجاً فوقَ السنِّ الصخريّ

قال (عصام) وهو يتّصلُ بالقيادةِ منْ خلالِ جهازِ اللاسلكي في دبّابته

ـ سيّدي هناكَ ناقلاتُ (ب.م.ب.١) المتطوّرة تتّجه نحو سفحِ جنوبِ السنّ والمواجه للأرض الحرام

[illegible] ؟

[illegible] أكثر من (٥٠) دبابة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

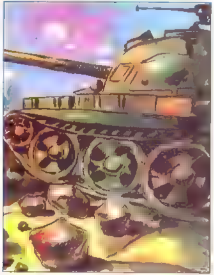
[illegible] . واصِلوا ضرْبَهم . الخِطّةُ تسيرُ كما ينبغي .

[illegible] المقاتل (خالد) [illegible]

قال خالد : ـ ماذا هناك سيدي ؟

لا شيء . [illegible]





٦

الأبطال الصناديد

قاد المقاتل (صبحي) [illegible]

لكنّه لم تخبره [illegible]

[illegible]

[illegible]

كانت الخِطّةُ تهدفُ إلى إرسالِ تعزيزات [illegible] عسكري على شكل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هُيئت مواضعُ بطريقةٍ تُتيحُ للدّبابةِ حركة (الميكوكة) أي تنصف في عدّة اتّجاهاتٍ دونَ خروجِ الدّبابةِ مِنْ موضعها تلافياً لخسائر مُمكنة

عادَ (صباحٌ) إلى مقرِّ القيادةِ ليُعطيَ الأوامرَ للمُقاتِلينِ خالد ومحفوظ بالتقدُّم

قال محفوظ وهو يودّعُ رفاقه .

ـ سنلتقي على التلِّ الصّحراويّ سنشعل بدالي ولن أهتفَ (النصر)

تحرّكتِ الدّبّابات .. كانَ طاقمُ دبّابة محفوظ يتكوّنُ مِنَ المُقاتِلِ خالد ورئيس العُرفاءِ (عيسى سلمان) والجنديّ (صلاح) الّذي كانَ يتولّى مُهمّةَ سياقةِ الدّبابة

ـ أسْرِعْ يا صلاح .. أسْرِع .. هيّا ..

كان محفوظ يعطي أوامره مِنْ أجلِ الوصولِ بسُرعةٍ إلى أرض المعْركة

أمّا (عيسى) فقدْ كانَ يتولّى أمْرَ القيادة الفنيّة للسريّة حتى يوصلَ أوامرَ المُقاتِلِ (خالد) إلى الجَميع .

عندما وصلت الدبابات إلى سفح التلّ . قال خالد

ـ صلاح لا تأخذ الطريق العامّ اتّجهْ إلى يمين الطريق . الرّصدُ سيكونُ بعيداً عنّا وسوف نختفي عن الطائرات السمتية

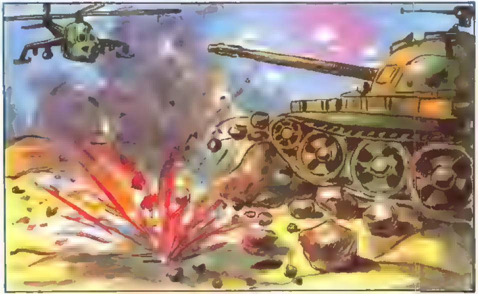
راحت الدبابة تتسلّقُ السفحَ مثل سحلية تشبّثتْ عجلاتها المسرّفةُ بالصخور والتُّراب كانت الصُّخورُ تتفتّتُ تحت عجلاتها مثل الطّحين لم تكنْ أيّة صخرة تقفُ عائقاً في طريقِ تلك الدبابة ..

كان يجبُ أنْ تصعدَ ، وبسرعة .. فهذه الدبابةُ لم تتوقّفْ يوماً منذ أن قادها الجُنديُّ صلاح

في المرّةِ السابقة ، وأثناءَ التقدُّمِ على سومار لم يتصوّرْ أحدٌ أنّ الدبابات سوفَ تجتازُ نهرَ كنكير .. لكنّ (صلاح) لم يتوانَ لحظةً واحدة عند بلوغه النهر ، بل عبَرتْ دبابتُه النهرَ مُحطّمةً تحت عجلاتِها الحديديةِ المُسنّنة الصخورَ التي صارت مثل قطعٍ من طباشير

ولأنّ صلاح ودبابته أمام مهمّة جديدة . مهمّة صعبة لكنّها تحتاج إلى انتباه حيث أن تستفيد من التلّ الصّحراويّ بكلّ ما في الدبابة من سرعة

كان الكلّ يعرفُ طريقةَ ممارسة (صلاح) بالمناورة كيف يختفي من صخرة . كيف يتحرّكُ دون أن يتركَ مجالاً للقناص . التي كانت تتساقط على



صوب هدفه وعرضها . لن تُصابَ دبابته

صلاح لم يكن يريدُ أن تُصابَ دبابته بأيّ عُطْل . اللحظةُ هنا تساوي الكثير ولحظةٌ محسوبةٌ بدقّةٍ بالغة

كانتِ الطائراتُ السّمتيةُ الإيرانية تغطّي تقدُّمَ القوّاتِ الإيرانية .. الغاراتُ تتوالى على الدبابات في التلّ الصحراويّ وفي كلّ غارة تظهرُ (خمس طائرات) بحيث بلغ مُعدّلُ الغاراتِ في اليوم الأول (١٤) غارة ..

دبابة صلاح تقترب من أرض المعركة . هدير القصف يقترب هو الآخر .
[illegible] تقترب منهم و[illegible] يعلو . تتدفق [illegible] مثل شجرة [illegible]

ـ يا محفوظ

ـ نعم صلاح . سوف نصل

ـ جيد صلاح

ـ إن شاء الله سيدي

الطائرات السمتية بدأت تحوم فوقهم .. أخرج محفوظ رأسه من أعلى الدبابة ليرى كثافة الطائرات السمتية

حدّق إلى الفضاء .. كان يتمنّى أن تمتدّ يده ليُمسك بإحدى تلك الطائرات فيحولها إلى هشيم

لكنّ سرعان ما برقت في ذهنه فكرة .. دخل الدبابة وأطلق [illegible] الأعلى كانت هناك طائرة سمتية إيرانية تخترق الفضاء . [illegible] بهم . [illegible] دبابتهم إلى مجال الرمي ..

وضع محفوظ الطائرة في هدف رمي الدبابة .. كان يتبعها بدقة [illegible] وكان هادئاً بانتظار ما سوف يفعله محفوظ ..

هل من الممكن أن تُصيب الدبّابةُ هدفاً متحرّكاً مثل طائرة ؟

لكنّ (محفوظ) كان مُصمّماً على أن يُحيلَ تلك الطائرةَ إلى رمادٍ قبل أن يكون العكسُ ..

ظلّ (محفوظ) يُتابعُ حركةَ الطائرة ، وظلّ قائدُ الطائرةِ الإيرانية يُتابعُ حركةَ الدبابة . الاثنان مُتربّصان .. وكلّ واحد منهما ينتظر فرصته المؤاتية

كان (محفوظ) يعلم أن هناك أربع طائرات أخرى تحوم في الفضاء ، لكن تلك الطائرة التي تُقابلُ دبابته هي [illegible]

قنع بهذه الفكرة بعد أن تأكد أن [illegible] الإيراني لا [illegible] [illegible] كثيرة



ومحفوظ يعلمُ أنّ صاروخَ الطائرةِ السمتية مُوجّهٌ بدقّةٍ ، وهذا يعني أنه إذا سبق الطيار الإيراني محفوظاً فهذا يعني أنهم سيكونون في عِدادِ الموتى ..

ـ الآن .. الآن : أين تذهبُ أنتَ وطائرتُك ؟

قال محفوظ ذلك بعد أن تأكّد من رصدِ الطائرة . ضغطَ على زنادِ الرمي . [illegible] قذيفة قوية حاسمة [illegible] محفوظ [illegible] وترقّب .. أعقبها صوتُ ارتطامِ القذيفةِ بالطائرة : انفجارٌ مدوٍّ

ثم تناثرتِ الطائرةُ في الفضاء وهبطتْ حُطاماً محترقاً في الوادي القريب حيث

سمتيّ للدبابات الإيرانية .

كان المنظرُ مُذهِلاً . منظرُ الطائرةِ وهي تتحطّم . لم يكنْ أحدٌ من [illegible] [illegible] .

ضحك محفوظ فرحاً ، وراحت دباباتُهم تتقدّمُ ، تختصرُ المسافة باتّجاهِ مواضِعِها .

قال خالد :

ـ النّصرُ .. النّصر ..

أجابه محفوظ :

ـ ماذا كنتَ تنتظرُ إذن ؟

ـ لا شيء سوى النصر .

لم يعرفِ المقاتلُ العراقيُّ معنىً آخرَ سوى النصرِ في كلِّ خُطواته ..

هذا لم يكنْ غريباً عليهم أن يشاهدوا محفوظاً وهو يحطّم الطائرةَ السّمتية .

لكنَّ هذه الحادثةَ كانت غريبةً كُلَّ الغرابةِ بالنسبة للإيرانيين الذين أرعبهم ذلك .. دارتِ الطائراتُ الأربعُ فوقَ دبّابةِ محفوظ

الدبّابةُ تمضي ، و(صلاح) يتأكّدُ من الطريق دون خوف ..

قال عيسى :

ـ سيّدي ، مهما تكنِ النتيجة فنحنُ منتصرون .

ـ نعم .. إلى أمام ، علينا أن ننظرَ دائماً إلى أمام .

تسابقتِ الطائراتُ الأربعُ لقصفِ دبابةِ محفوظ انتقاماً لصاحبِهم الذي احترقَ مع طائرته [illegible] الطائرة . انطلقَ صاروخٌ مُوجّهٌ من إحدى الطائرات .. كانت الدبابة تتقدّمُ لا يُؤخّرُها أيُّ عائق .. اخترقَ الصاروخُ جسدَ الدبابة الحديدي .

توقّفت الدبابةُ فجأةً ، صمَتَ مُحرِّكُها .

وفي داخلِها صمَتَ الأبطال ..

* * *

٧

السَمتيات الرائعة



آخرُ نداءٍ استلمتْهُ القيادةُ من دبّابةِ محفوظ كان :

ـ سنَصِلُ إلى السّنّ الصّخري .. سننتصرُ

وكان هذا النداءُ بدايةً لحسمِ الموقفِ لصالحِ القوّاتِ العراقية

التعزيزاتُ الإيرانيةُ تزدادُ بشرياً وآلياً . والغاراتُ تزدادُ كثافتُها . فالطائراتُ السّمتيةُ كانتْ تستهدفُ دُروعَنا . والطائراتُ المُقاتلةُ تُهاجمُ مواقعَ التموينِ والقيادة

وفجأةً ابتعدتِ الطائراتُ السّمتيةُ إلى خلفِ التّلالِ الإيرانيةِ البعيدة .

ـ ماذا حدث ؟

لقد لاحتْ في الفضاءِ السّمتيّاتُ العراقيّة .. والطائراتُ العراقيّةُ راحتْ تُواصِلُ مهمّاتِها لقصفِ تجمّعاتِ العدوّ .

صدَرَتِ الأوامرُ للمُقاتلِ (صباح) بقيادةِ رتلِ دبّابات ترافقه قوّة من القوّاتِ الخاصّةِ بإمرةِ المقاتلِ (سعدي) . وذلك من أجلِ حسمِ الموقف [illegible] حسبَ ما هو مرسوم في الخطّة ..

كانَ المقاتلُ (حافظ) واثقاً من أنّ خطّتَه تسيرُ بنجاح . تحرّكتِ الدبّابات وفوجُ القوّاتِ الخاصّةِ باتجاهِ السنّ الصخري . أخذتِ الدبابات هذه المرّة الطريق العامّ . فهذا الطريقُ هو الأسهلُ والأسرع .

ـ طائراتُنا تحرسُ الفضاء ... شب ... شرعه

هكذا قال (صباح) .

في سماءِ المعركة كانَ نسورُنا يشتكون في حرّ مع ... مقاتلات ... في عمق الأراضي الإيرانية ليتمكّنوا من قصفِ تجمّعاتِ العدو

أمّا السمتيّات فقد كانت تحيلُ دُروعَ العدوّ إلى حديدٍ محترق ... الإيرانية تحترقُ الواحدةَ تلوَ الأخرى ، والناقلاتُ التي لم يتمّ قصفُها تركها ... الإيرانيون وولّوا هاربين تاركين ناقلاتهم صالحةً لخدمة الجيش العراقي

صارت الـ (١٥) كيلومتراً التي تمثّلُ المسافة بين سومار والسنّ ... مترٍ ... خلال (١٥) دقيقة أخذت كلُّ دبابةٍ مكانها فوق ...

كانتِ النيرانُ تنطلقُ في كلّ اتجاه .. والأرضُ تنقلبُ إلى جحيمٍ حقيقي ... الدخان يصعدُ من كل الجهات .

كانتِ القوّةُ الإيرانية المهيّأةُ للتقدّم كبيرةً جداً .. أكبرَ من أنْ تتكفّل ... السنّ الصخري فقط كما أنّ طبيعةَ الأرض الوعرة التي كانَ الإيرانيون أعرف ... من غيرهم ، تخدمهم كثيرا في المراوغة .

وصلتْ بعضُ الناقلاتِ الإيرانية إلى منطقةٍ قريبةٍ من قمّة السنّ الصخري . ... الجنودُ الإيرانيون منها ليحتلّوا مواضعهم فوقَ السنّ . اختبأوا بين الصخور ... الشقوقِ المنتشرةِ بين الصخور . كانتِ المدفعيّةُ والدبّاباتُ الإيرانيةُ ما تزالُ تحمي ... ـهم

المسافةُ أصبحتْ لا تزيدُ عن (٥٠٠) مترٍ بين القواتِ العراقية والقوات الإيرانية والمواجهةُ ستأخذُ طابعاً آخر



٨

الأبطال ينتصرون



مرّ يومان والسنُّ الصخري يشتعل .. كلُّ صنوف الأسلحة تُستخدَمُ من قبلِ الطرفين حتى الأسلحةُ الخفيفة ..

لم يكن من طبيعةِ القوّاتِ الخاصّةِ العراقية الانتظارُ طويلاً في معاركها ..

الهجومُ المباشرُ هو لغتُها الوحيدةُ لحسمِ المعركة .

كانوا ينتظرون أوامرَ القيادةِ بفارغِ الصّبرِ للهجومِ على مواضعِ الجيشِ الإيراني الذي وصلَ إلى السنِّ الصخري ..

وخطةُ هجومِ القواتِ الخاصّةِ تتلخّصُ في عمليةِ التفافٍ سريعةٍ من الخلفِ ومن السفحِ ذي الحافةِ الحادّة ، يتبعُهُ هجومٌ مباشرٌ من الأمامِ بتغطيةٍ من الدبّاباتِ العراقية .

وبعد أنْ تأكّدَ المقاتلُ (صباح) والمقاتلُ (سعدي) من أنَّ دروعَ العدوِّ التي



تقعُ في الخلفِ والتي قد تعترضُ عمليّةَ الالتفاف ، قد شلّتْها السمتيّاتُ ومقاومةُ الدروعِ العراقية ، بوشِرَ بتنفيذِ الخطة ..

كان على المقاتلِ (هاني) أن يقودَ مجموعةَ الالتفاف ، بينما المقاتلُ (سعدي) يقودُ مجموعةَ الهجوم ..

هيّأَ رجالُ القوّاتِ الخاصّةِ حِرابَهم وبنادقَهم للهجومِ وهمُ الآنَ بانتظارِ الأوامر ..

كل شيءٍ على ما يُرام والخُطّةُ تسيرُ في طريقِ النّصر .

هيّا إذن .

لم تكنْ سوى لحظاتٍ سريعةٍ وحاسمة ، التفَّ المقاتل هاني ومجموعتُه حولَ الصخورِ الصعبةِ المنتشرةِ فوق السنّ . علَتْ صيْحاتُهم في الفَضاءِ مع حِرابِهم ،

وهبطتِ الحِرابُ لتُحقّقَ نصرَها الأكيد .

كانَ المقاتلُ هاني يتنقّلُ بسرعةٍ وبخفّةٍ يتفقّدُ مُقاتليه ويتأكّدُ من تنفيذِ الخطّةِ كما يجب .

خلفَ صخرةٍ كبيرةٍ رماديةِ اللّونِ . كان هناكَ قنّاصٌ إيراني يتربّصُ بالمقاتلِ هاني الذي لم ينتبه إلى وجودِ القناص خلفَه مباشرةً . وجّهَ القنّاصُ بندقيّتَهُ نحو (هاني) .. وأصابَهُ ثلاث رصاصات ..

التفتَ اثنانِ من المقاتلين ، هُرِعوا إلى هاني لإنقاذِه ..

لكنَّ الوقتَ كانَ قد فات .. استُشْهِدَ هاني ..

سارعَ اثنانِ آخرانِ من المقاتلينَ لإخلاءِ الشهيدِ البطل لكنَّ قنبلةً يدويةً (رُمّانة) انفجرَتْ وسْطَهم تماماً ..

كانَ مصدرُ القنبلةِ من وراءِ صخرةٍ أُخرى . لم يكنْ في عُرْفِ الجيشِ العراقي أنْ يبقى الشهيدُ في ساحةِ المعركةِ دونَ إخلائه إلى الخلفِ .. حتى الجريحُ الإيراني



كان يُنقَلُ إلى الطّبابةِ العراقية لإنقاذه ..

وهكذا استُشهِدَ أربعةُ مقاتلين من أجل إخلاء الشهيدِ هاني ..

لكنَّ القنّاصَ لم يكنْ بوُسْعِهِ توجيهُ رصاصه بعد أن أصابَ هاني ورفاقَهُ ، فقد التفَّ حولَهُ أحدُ المقاتلينَ العراقيينَ وأرداه قتيلاً في مكانه ..

تقابَلَتِ المجموعتان اللتان كانتا مُكلَّفَتينِ بالقضاءِ على بقايا الجيش الإيراني فوقَ السّنِّ الصخري ..

هدأتْ أصواتُ القَصْفِ .. سكونٌ مُؤقّتٌ عَمَّ المنطقةَ بعدَ قتالٍ استمرَّ ثلاثةَ أيامٍ في معركةٍ انتصر فيها الجيشُ العراقي .

حملَ المقاتلونَ الشهداءَ الأبطالَ فوقَ الأكتاف .. بينما كانوا يتعثّرون بجُثَثِ القتلى الإيرانيين الذين لم يتمَّ إخلاؤهم . بل حتى القتلى الإيرانيون الذين كانوا قريبين من مواقع الجيش الإيراني بقوا في العراء .. فقد كانت خسائرُ العدوِّ البشريةُ المنظورةُ أكثرَ من (٢٠٠) قتيل ، والخسائر الآلية تُقَدَّرُ بـ (٣٣) دبابة و(٩) ناقلات .

حينَما عاوَدَ الإيرانيون قصفَ السّنِّ بالمدفعيةِ الثقيلة البعيدة لِحمايةِ تَراجُعِ قُوّاتِها ، كان المقاتلونَ العراقيون مشغولينَ بدَفْنِ القتلى الإيرانيين حسبَ شعائرِ الدين الإسلامي ، حتى القتلى الذين في عُمْقِ الأرضِ الإيرانية ؛ كانَ جنودُ الدَّوريّاتِ العراقية ، وهم في طريقهم لأداءِ مهامِّهم القتاليّة ، يدفنونَهم حيثُما وَجَدُوهم .

هكذا تقضي تقاليدُ المروءة العربية .

* * *



٩

الشهداء أكرمنا جميعاً

لقد تحقَّقَتْ أُمْنِيَةُ البطلِ محفوظ ورفاقِهِ الشُّهداء .

فقد علَتْ صيْحاتُ الأبطالِ فوقَ السّنِّ الصخريّ :

ـ انتصرنا .. انتصرنا .

وسُمِّيَتْ فيما بَعْدُ المَهمّاتُ القتاليّةُ البطوليّةُ بأسماءِ شُهداء معركةِ السّنِّ الصَّخري ..

فكانتْ مَهَمَّةُ الشهيدِ محفوظ ، والشهيدِ خالد ، والشهيد عيسى ، والشهيد صلاح .. والشهيد هاني أنّهم كانوا بدايةَ نِداءِ النَّصْرِ في تلكَ المعركة .

* * *

مسح ضوئي : د.نزار حبيب عباس
اعداد الكتروني : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

